رد على مقال

ولى الدين يكن
وشعره السياسى
للأستاذ محمد مجاهد بلال

قرأت فى العدد ٢٧٨ من الرسالة فصلا للأستاذ كرم ملحم كرم عن ولى الدين يكن، فسرنى أن يتحدث أديب من بيروت عن ولى الدين ، فإذا ولى الدين لا يذكر المعاصرون له كأنه لم يعش بينهم ولا يتحدثون عنه، كأنه لم يكن شيئاً ذا بال . ويرحمه الله فهو القائل (... وليس رجل ينكره معارفه ويتجافاه أقرب أقاربه إلا الأديب، فهو إذا برّز على أقرانه حسدوه وإن قصر عنهم حقروه)

ومن الحق أن أقول إننى لم أكد أفرغ من قراءة المقال حتى أحببت أن أقول شيئاً فى ولى الدين ، لا لأن الأستاذ كرم حبّب هذا الشاعر إلىّ، فانى أحب ولى الدين من قبل، وقد كتبت عنه أكثر من مرة ، وإنما لأن الأستاذ له رأى فى شعر ولى الدين السياسى لم أستطع فهمه ، فهو يقول :

« ولى الدين كان عبد العاطفة، وكل شعر شذ به عن العاطفة كبا فيه ، والدليل شعره السياسى ؛ فأين هذا الشعر من القصائد المصهور فيها قلب ولى الدين ؟ فبينا أنت إزاء ولى الدين العاطفى فى حضرة شاعر من الطبقة الأولى إذا بك تجاه شعره السياسى أمام شاعر من الطبقة الثانية بل الثالثة »

ولقد جرى فى أكثر حديث الأستاذ معنى هذا الكلام واتضح أنه حكم على شعر الرجل السياسى حكما لا أقول قاسيا وإنما هو بعيد عن ولى الدين

والغريب أن الأستاذ حين أراد أن يقيم الحجة على رأيه تجاهل شعر ولى الدين السياسى كله ولم يذكر منه إلا هذين البيتين :

هلمو بنا نحو الأمير نسلم سلام على عباس مصر المعظم
ألا إن فى الأكباد شوقا مبرحا إليه فقد كادت من الشوق تدمى

مع أن هذين البيتين لا يدخلان فى باب الشعر السياسى بقدر ما يدخلان فى باب التهنئة والمديح !

أحب الآن إذاً أن أعرض لشعر ولى الدين السياسى وأن أعرض له فى شئ من الايجاز، فانى أعلم أن صفحات الرسالة معدودة ووقت فراغى محدود

* * *

شعر ولى الدين السياسى جله عذب وجله قد نطق به (وقلبه مصهور) وأظن أن القلب لا يصهره حب الغوانى فقط — كما يفهم من مقال الأستاذ — وإنما تصهره الآلام جميعا مهما كانت مصادرها . والذى يعرف تاريخ ولى الدين وحياته بين القاهرة والآستانة وسيواس يعرف أن شعره السياسى لم يكن عبثا وإنما كان ينطق به وعواطفه ملتهبة وقلبه ملتاع .

لقد كان ولى الدين أصدر بالقاهرة جريدة سماها (الاستقامة) فنعت حكومة الآستانة دخولها إلى الممالك العثمانية واضطر أن يوقف صدورها ويودعها بقصيدة جاء فيها :

ولى أمل أودى الزمان بنجحه وخيبه سوء الظنون فخابا
ولو شئت وفيت الليالى حسابها عليه ولكن لا أشاء حسابا

ومنها :

فمن مبلغ عنى الغضاب الألى جنحوا بأنى امرؤ ما إن أخاف غضابا
أذم فلا أخشى عقابا يصيبنى وأمدح لا أرجو بذاك ثوابا
علام أحابى معشرا أنا خيرهم ومثلى إذا حابى الرجال يحابى

إلى أن قال :

ولما غدا قول الصواب مذمما عزمت على أن لا أقول صوابا
فجافيت أقلامى وعفت (استقامتى) ورحت أرجى للسلامة بابا

فهل من الحق أن نتكر فى هذه الأبيات قلب ولى الدين وعاطفته وهل من الحق أنه قد كبا فيها ؟ لا أظن .

وهذه أبيات من قطعة أخرى قالها ولى الدين فى منفاه :

فؤاد دأبه الذكر وعين ملؤها عبر
ونفس فى شبيبتها وجسم مسه الكبر
وآمال مضيعة ووقت كله هذر
وعيش عذبه مضض وعمر صفوه كدر
أما ياليل من صبح لمن سهروا فينتظر

ومنها :

علام تلوم أعداء على شر إذا قدروا
بلوناهم فدن شبوا أنذناهم إذا كبروا
نصحناهم فما انتصحوا زجرناهم فما ازدجروا
لقد صلدت قلوبهمُ كأن قلوبهم حجر
إذا ائتمروا على كيد فانا سوف نأتمر
فمن نخشى وفوق المر ش مهما يفترر يشر

فهل من الحق أن ننكر فى هذه الأبيات أيضاً قلب ولى الدين وعاطفته ؟ وهل من الحق أنه قد كبا فيها ؟

وانظر إلى ولى الدين وهو يصور رجال العصر الحميدى وعاده فى أبيات لا تقل جمالا عن سالفتها :

كفى حزناً أن الرجال كثيرة وليس لنا فيها نراه رجال
نحكم قوماً لا يبالون قائلا وإن قام كل العالمين فقالوا
إذا ارتقبوا أمراً فذلك منصب أو اطّلبوا شيئاً فذلك مال
بغال تسوس الأسد شر سياسة وما ساس أسداً قبل ذاك بغال

***

أما بعد : فالأستاذ كرم موافق على أن ولى الدين يجيد ويسمو ويبرع ويروع حين يصهر قلبه ، فهل حالات ولى الدين التى دفعته إلى أن يقول هذا الشعر الذى قدمتُه لا تصهر قلبه؟ وماذا ننتظر من رجل تحولت آماله آلاما سوى أن نسمع منه صدى قلبه المصهور ، ومن رجل منفى سوى أن ينطق بما يكابد ويعانى ، ومن رجل حر أبى — يرى حريته مكبوتة ولسانه معقوداً — سوى أن يترجم لواعجه وفواجعه ؟

إحدى اثنتين : إما أن يكون ولى الدين يجيد ويروع حين يصهر قلبه — كما يرى الأستاذ — وإذاً فهذه الأبيات جيدة رائعة ، وإما أن هذه الأبيات ليست جيدة ولا رائعة — كما يرى الأستاذ كذلك — وإذاً فولى الدين لا يجيد ويروع حين يصهر قلبه

فليختر الأستاذ لنفسه إحدى السبيلين

« طهطا » محمد مجاهد بدوى
تفتيش المعارف

كتاب المبشرين

اغلاطه اللغوية

لأستاذ جليل

كتاب (المبشرين) أغلاطه فى اللغة وغير اللغة — يا أخا العرب — كثيرة . وهذا نموذج من تخليطه اللغوى :

١ — فى الصفحة (٤٧١) : « أهل المدينة القربى من الفتيل »

قلت : قالت العربية : الأقرب ، ولم تقل فى مؤنثه القربى كما لم تقل فى الأظرف والأكرم والأشرف . الأظرف والأكرم والشرفى ، وهذا باب مرجعه السماع . وإذا جاءت فى (أفعل التفضيل) ألٌ غابت من . قال المفصل : « وتعتوره حالتان متضادتان تلزم التنكير عند مصاحبة من ، وتلزم التعريف عند مفارقتها » وبيت الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر[1]

قال فيه شارح الكافية : « من ، فيه ليست تفضيلية بل للتبعيض أي لست من بينهم بالأكثر حصى كما تقول مثلا : أريد شخصاً من قريش أفضل من عيسى (عليه السلام) فيقال : محمد (عليه السلام) الأفضل من قريش ، أى هو أفضل من عيسى من بين قريش » وقال صاحب (الخصائص) وشارح (المفصل) فى البيت مثل ذلك

٢ — فى الصفحة (٤٣٥) : « واستنزلهم على حكم يهودى خائن متمسلم ، اسمه سعد بن معاذ » وجاءت (متمسلم) فى الصفحة (٣٦٥) أيضاً

قلت : لا يقال : تمسلم الرجل أى أسلم أو انتحل الاسلام ظاهراً إن كان كتاب المبشرين قصد هذا المعنى . وتمسلم فى العربية معناه تسمى بمسلم ففى (القاموس المحيط) : « ويقال : كان يسمى محمداً ثم تمسلم أى تسمى بمسلم » وأسلم من هداه الله وتسلم : دان بدين العدل والمساواة . قال (لسان العرب) :

(١) الحصى : العدد الكثير تشبيهاً بالحصى من الحجارة فى الكثرة